الفصل الحادي عشر

السيد سلمان الفارسي رضي الله عنه

وعلامات يوم القيامة

اعلم وفقك الله وإيانا لما يحبه ويرضاه أن من أصحاب الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم شموس هداية، وأقمار عناية، وأنوار مشرقة يفوز المهتدي بهم، ويهلك مبغضهم، وعدوهم فكانوا زاهدين عابدين بررة قانيتين أصفياء أنقياء أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء، تعلموا علم الدين فكانوا جهابذة نحارير، وعملوا بما تعلموا فكانوا مخلصين، وعلموا عظمة الجهاد في سبيل الله فعاشوا غزاة مجاهدين مرابطين، عشقوا الشهادة، وسألوا الله أن يعطوها بصدق فنالوها، من هؤلاء صحابة أجلاء كانوا نوراً شعشعانياً يستضيء به صاحب الشريعة وهداة مهديين يهدون الضالين، مدحهم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بأن الجنة أشوق إليهم من شوقهم إلى الجنة منهم سادةٌ وقاده ورؤساء وأئمة وأقطاب، منهم السيد سلمان الخير،

والمقداد بن الأسود الكندي، وعمار بن ياسر، وأبو ذري الغضاري، وابن مظعون النجاشى، رضي الله عنهم وأرضاهم.

ومما روي عن السيد سلمان الخير رضي الله عنه أنه قاله:

حججنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فأخذ بحلقة باب الكعبة ثم أقبل علينا بوجهه، وقال: ألا أخبركم بأشراط الساعة؟ (وكان أدنى وأقرب الناس يومئذً منه السيد سلمان رضي الله عنه) فقال له: بلى يا رسول الله؟ قال: إن من أشراط القيامة إضاعة الصلاة، وإتباع الشهوات، والميل مع الأهواء وتعظيم أصحاب المال، وبيع الدين بالدنيا، فعندها يذوب قلب المؤمن في جوفه كما يذاب الملح في الماء، مما يرى من المنكر فلا يستطيع أن يغيره، قال السيد سلمان؟ وإن هذا لكائن يا رسول الله؟ قال: أي والذي نفسي بيده!!!!

يا سلمان عندما يليهم أمراء جورة ووزراء فَسقَه

وعرفاء ظَلَمة وأمناء خَوَنَهَ.

فقال سلمان: وإن هذا لكائن يا رسول الله ! ! ! !

قال: أي والذي نفسي بيده ؟ !

يا سلمان: فعندها إمارة النساء، ومشاورة الإيماء، وقعود الصبيان على المنابر، ويكون الكذب طَرَفَاً والزمان مَغَرَماً والفيء مغنماً

ويجفو الرجل والديه ويبر صديقه ويَطَّلِع الكوكب المُذَنَّبُ.

فقال سلمان: وإن هذا لكائن يا رسول الله ؟

قال: أي والذي نفسي بيده ! ! !

يا سلمان: وعندها تشارك المرأة زوجها في التجارة، ويكون المطر قيظاً ويغِنَّطُ الكرام غيظاً ويحتقر الرجل المعسر، فعندها تقارب الأسواق إذ قال: لما أبع شيئاً وقال هذا: لم أربح شيئاً فلا ترى إلا ذاماً لله

يا سلمان: فعندها يليهم أقوام أن تكلموا قتلُوهمْ وأن سكتوا استباحوا حقهم ليستأثروا بفيئهم وليطؤنَّ حرمتهم وليسفكن دماءهم وليملؤونَّ قلوبهم دَغَلاً ورعباً فلا تراهم إلا وجلين خائفين، مرعوبين، مرهوبين.

قال سلمان: وإن هذا لكائن يا رسول الله؟

قال: أي والذي نفسي بيده!!!

قال: جثتهم جثة الآدميين، وقلوبهم قلوب الشياطين، وعندها يكتفي الرجال بالرجال، ويغار على الغلمان كما يغار على الجارية في بيت أهلها، وتُشَبه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال ويركبن ذوات الفروج السروج.

عندها تزخرف المساجد كما تزخرف البيع والكنائس، وتحلَّى المصاحف، وتطوّل المنارات وتكثر الصفوف بقلوب متباغضة، والسن مختلفة، وعندها تُحلّي ذكر أمتي بالذهب، ويلبسون الحرير والديباج، ويتخذون جلود النمور صفاقاً

يا سلمان: وعندها يظهر الرِّبا ويتعاملون بالغيبة، والرشى، ويوضع الدين وترفع الدنيا

يا سلمان: وعندها يكثر الطلاق فلا يقام لله حدٌ ولن يضر الله شيئاً .

يا سلمان: وعندها تظهر القينات، والمعازف، ويليهم أشرار أمتي

يا سلمان: وعندها يحج أغنياء أمتي للنزهة، ويحج أوساطها للتجارة، ويحج فقرائهم للرياء والسمعة، فعندها يكون أقواهم يتعلمون القرآن لغير الله ويتخذونه مزاميراً، ويكون أقواهم يتفقهون لغير الله ويكثر أولاد الزنا ويتغنون بالقرآن ويتهافتون على الدنيا .

يا سلمان: ذاك إذا انتهكت المحارم، واكتسبت المآثم، وسُلّطَ الأشرار على الأخيار، ويفشوا الكذب، وتظهر اللجاجة، وتفشوا الفاقة ويتباهون في اللباس،

ويمطرون في غير أوان المطر، ويستحسنون الكوبة[46] والمعازف، وينكرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى يكون المؤمن في ذلك الزمان أذل من شاتِهِ.

يا سلمان: عندها يتكلم الرويبضة، فقال وما الرويبضة؟ قال: يتكلم في أمر العامة مَنْ لم يكن يتكلم فلم يلبثوا إلا قليلاً حتى تخور الأرض خورةً فلا يظنْ كُلَ قومٍ إلا إنها خارتْ في ناحيتهم فيمكثون ما شاء الله، ثم ينكثون في مكثهم فتلقي لهم الأرض أفلاذ كبدها".

قال: ذهب وفضة فيومئذٍ لا ينفع ذهب ولا فضة فهذا معنى قوله فقد جاء أشراطها.

الظلمات يوم القيامة

ومما يروى عن السيد سلمان الخيِّر رضي الله عنه وهو يعظ جرير قوله:

يا جرير تواضع لله عز وجل فإنه مَنْ تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة؟

(46) الكوبة: الشطرنج والنرد.

هل تدري ما الظلمات يوم القيامة؟ قلت: لا؟ قال ظلمْ الناس بعضهمْ في الدنيا .

الأرض لا تقدس أحداً

عن مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد إن أبا الدرداء كتب إلى سلمان الخير رضي الله عنه: هَلُمَّ إلى الأرض المقدسة.

فكتب السيد سلمان الخير رضي الله عنه: إن الأرض لا تقدس أحداً وإنما يُقدسْ الإنسان عملهُ، وقد بلغني إنك جُعِلتَ طبيباً فإنْ كنت تبرئ فنعماً لك، وإن كنت متطبباً فاحذر أن تقتل إنساناً فتدخل النار.

ومما روي عنه قوله: أكثر الناس ذنوباً يوم القيامة أكثرهم كلاماً في معصية الله" حلية الأولياء[47]

[47] (جـ1ص202).

المقداد بن الأسود الكندي

هو المقداد بن عمرو بن ثعلبَه بن قضاعة، وقيلَ من كِندة أبو معبد أو أبو عمرو نُسبَ إلى الأسود بن عبد يغوث الزهري لأنهُ تبناه في الجاهلية.

قال بن الكلبي: كان عمرو بن ثعلبَه أصاب دماً في قومه فلحق بحضرموتْ فحالف كندة فكان يقال له: الكندي، وتزوج هناك امرأة فولدت له المقداد فلما كبر المقداد وقع بينه وبين أبي شمر بن حجر الكندي انتصاراً لله فضرب رجله السيف، وهرب إلى مكة فحالف الأسود بن عبد يغوث الزهري، وكتب إلى أبيه فَقَدِمَ عليه فتبنى الأسود المقداد فصار يقال: المقداد بن الأسود، وغلبت عليه، واشتُهِرَ بذلك، فلما نزلت: أدعُوهم لآبائِهْم[48]قيل له: المقداد بن عمر، واشتهر بأبن الأسود، وكان فارساً شجاعاً، يقوم مقام ألفَ رجل على حد تعبير عمر بن العاصْ، وكان من الرماة المذكورين منْ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أول فارس في الإسلام، وكان من الفضلاء النجاء الكبار، الخيار سريع الإجابة إذا دُعيَ إلى

([48]) (الأحزاب5)

الجهاد، حتى حينما تقدمت به سنه وكان يقول في ذلك: أبت علينا سورة التوبة القعود بقول رب العزة: "انفروا خفافاً وثقالاً"[49]وكان إلى جانب ذلك رفيع الخلق، عالي الهمة طويل الأناة طيب القلب عفيف الجوارح، وهو أول مَنْ قاتل على فرس في سبيل الله، هاجر إلى أرض الحبشة مع المهاجرين من الصحابة ثم عاد إلى مكة.

عمار بن ياسر رضي الله عنه الطيب المطيب

الصحابي الجليل أبو اليقظان عمار بن ياسر رضوان الله عليه بن عامر الكناني المذحجي العنسي القحطاني أحد السابقين في الإسلام، والجهر به صحابي من الولاة الشجعان ذوي الرأي، أسلم هو وأبوه ياسر وأمه سميه بنت خياط، فذاقوا العذاب من حلفائهم بني مخزوم ومات أبوه في العذاب، وطعن أبو جهل أمه بحربة فقتلها حين كانت تعذّب، وهي أول شهيدة في الإسلام، هاجر إلى الحبشة وعاد إلى المدينة وأبلى بلاءً حسناً في وقعة بدر، ووقعة الخندق وغيرها، حارب مع الإمام علي في صفين وقُتِلَ في معركتها وكان عمره أربع وتسعون عاماً سماه الرسول

([49]) (التوبة41)

بالطيب المطيب وقيل عنه: إن عمار مُلئ إيماناً من قرنه إلى قدمه، واشتاقت الجنة إلى سلمان، وعمار وقال عنه: إن عماراً جِلْدَهُ، ما بين عيني وأنفي، وقال عنه: "مَنْ عاد عماراً عاداه الله ومَنْ أبغض عماراً أبغضه الله" .

أبو ذر الغفاري رضي الله عنه، الصّادق الأمين

قام أبو ذر الغفاري عند الكعبة وقال: يا أيها الناس أنا جندب الغفاري هلموا إلى الأخ الناصح الشفيق، فاكتنفه الناس فقال: أرأيتم لو أن أحدكم أراد سفراً أليس يتخذ من الزاد ما يصلحهُ و يبلغهُ؟ قالوا: بلى قال: فسفر طريق القيامة أبعد ما تريدونَ فخذوا منهُ ما يصلحكمْ، قالوا: وما يصلحنا ؟ قال: حجوا حجة عظائم الأمور صوموا يوماً شديداً حرهُ لطول النشور، صلوا ركعتين في سواد الليل لوحشةِ القبور كلمة خير تقولها، أو كلمة سوء تسكت لوقوف يوم عظيمْ، تصَّدقْ بمالك لعلك تنجو من عسيرها، اجعل الدنيا مجلسين: مجلساً في طلب الآخرة، ومجلساً في طلب الحلال، والثالث يضرك، ولا ينفعك لا تريده، اجعل المال درهمين درهماً تنفقه

على عيالك من حله، ودرهماً تقدمه لآخرتك، والثالث يضرك ولا ينفعك لا تريده، ثم نادى بأعلى صوته: يا أيها الناس قد قتلكم حرصٌ لا تدرِ كونه أبداً .

– جاء رجل إلى أبي ذر فقال: يا أبا ذر الغفاري مالنا نكرهُ الموتْ؟ فقال: لأنكم عمرتم الدنيا، وأخربتم الأخرة، تكرهون إنّ تُنقلوا من عُمران إلى خرابْ، فقال له: كيف ترى قدومنا على الله؟ قال: أما المحسن منكمْ كالغائب يقدم على أهله، وأما المسيء منكمْ فكالآبق يرد إلى مولاه، قال: فكيف ترى حالنا عند الله؟ فقال: اعرضوا أعمالكم على الكتاب، إن الله يقول: **"إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم"**[50] قال الرجل: فأين رحمة الله؟ قال:إنَّ رَحَمْةَ الله قَرِيب من المحسنين[51] .

وكتب رجل إلى أبي ذر رضي الله عنه: يا أبا ذر أطرفني بشيء من العلم؟ فكتب إليه: إن العلم كثير، ولكن إن قدرت على أن لا تسيء إلى من تحبه فافعل، فقال له الرجل: وهل رأيت أحداً يسيء إلى مَنْ يحبه؟ قال: نعم نفسك أحب الأنفس إليك، فإذا أنت عصيت الله فقد أسأت إليها .

([50]) (سورة الأنقطار 13-14)
([51]) (سورة الأعراف56)

وكتب أبو ذر إلى حذيفة بن اليمان يشكو إليه ما صنع به عثمان بن عفان، قال فيها: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد يا أخي فخف الله مخافة يكثر منها بكاء عينيك، وحرّر قلبك، واسهر ليلك وانصب بدنك في طاعة ربك فحق لِمَنْ عَلِمَ إن النار مثوى من سخط الله عليه، أن يطول بكاؤه ونَصَبَهُ وسهر ليلهُ حتى يعلم أنه قد رضي الله عنه، وحُقَّ لمن عَلِمَ أن الجنة مثوى من رضي الله عنه أن يستقبل الحق كي يفوز بها ويستصغر في ذات الله الخروج من أهله وماله وقيام ليله وصيام نهاره وجهاد الظالمين الملحدين بيده ولسانه، حتى يعلم إن الله أوجبها له وليس بعالم ذلك دون لقاء ربه. . .الخ.

عثمان ابن مظعون النجاشي رضي الله عنه

وبكاء الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم

عثمان بن مظعون النجاشي هو المعروف عند الموحدين برفاعة بن مظعون النجاشي وهو المتقشف المحزون الممتحن في دينه الممتلئ إيماناً وتوحيداً، وفي العبادة والطاعة ناسكاً وناشطاً لقد استجار بالوليد بن المغيرة، من اضطهاد

المشركين، ولحق بالموحدين لشد أزرهم والوقوف بجانب الرسول ومساعدتهِ، وفي أحد مجالسْ قريشٌ أنشدَ الشاعر لبيد بن ربيعة:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

قال عثمان ابن مظعون: كَذِبْتَ، بل إن نعيم أهل الجنة لا يزول، فلطمه أحد سفهاء قريشٌ على عينه (شلت يده وقطعت) وسالت الدماء الطاهرة من عينه الشريفة، فقال له المغيرة: يا ابن أخي؟ لقد كانت عينك عما أصابها لغنيه؟ لقد كنت في ذمة منيعة، فأجابه عثمان بن مظعون رضي الله عنه: بل والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله، وإني لفي جوار من هو أعز منك وأقدر.[52]

ووصف الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه تلك الحادثة شعراً قال:

أمن تذكُّر أقوام ذوي سفه يفشون بالظلم من يدعو إلى الدين

([52]) (راجع السيرة النبوية لابن هشام جـ2ص21)

لا ينتهون عن الفحشاء ما سلموا والغدر فيهم سبيل خير مأمون

ألا ترون أقلّ الله خيركُم إنَّا غضبنا لعثمان مظعون

إذ يلطمون ولا يخشون مقلته طعناً دراكاً وضرباً غير مأمون

فسوف يجزيهم إن لم يمت عجلاً كيلا يكيل جزاءً غير مغبون[53]

دخل عليه النبي وهو يختصَر فانكب عليه يقّبلهُ فرفع رأسه عدة مرات ثم شهق، وعيناه تنهمران بالبكاء فقال: استغفر الله، استغفر الله وانتقل إلى رحمته تعالى سنة اثنتان من الهجرة.

وقيل فيه شعراً:

يا عين جودي بدمع غير ممنون على رزية عثمان بن مظعون

على امرئ بات في رضوان خالقه طوبى من فقيد الشخص مدفون

طاب البقيع له سكنى وغرقدة واشرقت أرضه من بعد تفتين

وأورث القلب حزناً لا انقطاع له حتى الممات فما ترقى له شون[54]

([53]) (راجع (ص73) من ديوان علي بن أبي طالب تحقيق محمد عامر دار الحسين الإسلامية القاهرة)

ولما انتقل إلى جوار ربه قال الصحابة للرسول: يا رسول الله فارسك وصاحبك توفي وكان يُعّد خيارهم" .

– ومن ناقلة القول أن نعرّف به رضي الله عنه: هو أبو السائب عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب الجُمحي القرشي، وقيل كان عثمان بن مظعون أخاً للرسول من الرضاعة، وكان من حكماء العرب في الجاهلية، ومما يّدل على حكمته قبل الإسلام، وسمو عقله ما اتفق عليه أصحاب السير والتاريخ، من أنهُ حّرم الخمرُ على نفسه في الجاهلية، وقال: لا اشرب شراباً يذهبُ عقلي، وقيل: إنه لما حُرّمت الخمر أتى وهو بالعوالي، فقيل له: يا عثمان قد حُرّمت الخمر؟ فقال: تباً لها قد كان بصري منها ثاقباً" .

[54] (راجع الأصفهاني حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (جـ2 ص102 وسلمان الفارسي جامع علم الأولين والآخرين من ص276 ص277)

هؤلاء رضي الله عنهم وأرضاهم حدود الحق فهم قوام الله على خلقه، وعرفاؤه على عباده ولا يدخل الجنة إلا مَنْ عرفهم، وعرفوه ولا يدخل النار إلا مَنْ أنكرهم وأنكروه، فهم كنوز الرحمن إن نطقوا صدقوا وإن صمتوا لم يُسبقوا .

فمولانا العقل صلى الله عليه ابتعثه الله سبحانه وتعالى بالنور المضيء، والبرهان الجلي، والمنهاج البادي، والمعلوم الهادي، أسرته خير أسرة، وشجرته خير شجرة، أغصانها معتدلة وثمارها مهتدلة ارسله الباري عز وجل بحجة كافية وموعظة شافية ودعوة متلاقية أظهر به الشرائع والنواميس، وقمع به البدع المدخولة وبيّن الأحكام المفصولة، ومَنْ يبتغي غير التوحيد مسلكاً وطريقاً تتحقق شقوته وتنفصم عروته وتعظم كبوته ويكُن مآبهُ إلى الحزن الطويل والثواب الوبيل:

مولانا البطل المقداد الجليل الشجاع الكريم أبو ابراهيم اسماعيل بن محمد التميمي كان يتوسد الحجر ويلبس الخشن ويأكل الجشب، وكان إدامه الجوع وسِراجه بالليل القمر، وظلاله في الشتاء مشارق الأرض ومغاربها، وفاكهته وريحانه ما تنبت

الأرض، ولم تكن له زوجة تفتنه ولا ولد يحزنه ولا مال يلفته ولا طمع يُذلَّه، دابته رجلاه وخادمه يداه.

ومولانا العالم الفقيه المتقي النقي التقي بهاء الدين علي بن أحمد الطائي رضي الله عنه وأرضاه ما سأل المولى عز وجل، إلا خبزاً يأكله لأنه كان يأكل خبز الأرضْ، ولقد كانت خضرة الأرض تُرى من شفيف (أي رقيق) صفاق (أي الجلد الباطن) بطنه الشريف لهزاله وتشذب لحمه)

وسيدنا الشيخ أبو القاسم نصر بن فتوح رضي الله وأرضاه كان يعمل سفائف الخوص بيديه الشريفتين ويقول لجلسائه: أبِكمْ يكفيني بيعها، وكان يأكل قرص الشعر من ثمنها.